

# النهج الاستسلامي يشوه حقيقة النضال الفلسطيني

بقتلم: ابو عدنان

ويقول كفتاني ايضا: ( ان مسألتي هامتي في هذه المرحلة من الثورة ، ينبغي التوقف عندها : الاولى : ان العرب اتصلا باليهود مقترحين التوصل معهم الى نوع من الاتفاقات على اساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعا تاما ، ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور لانهم يعتبرون علاقاتهم ببريطانيا مسألة جوهرية .. الخ (٢١٤) والثانية : ان وجود زعامة الثورة خارج فلسطين - في دمشق - قد جعل دور القيادة المحلية المنحدرة من اصل فلاحي قفرا في معظمها دورا اكبر مما كان في الحقيقة المنصبة ، وكان هؤلاء يرتبطون مع الفلاحين ارتباطا وثيقا ، وذلك بفرس الى حد المدي الامد الذي كان يوسع الثورة ان تصله ... الخ ( ٢١٥) .

لا حظ ان الثوار العرب بعد ان تجرت الثورة مجددا في ايلول ١٩٢٧ على اثر اغتيال الحاكم البريطاني، اتصلا باليهود مقترحين عليهم اتخاذ موقف موحد ضد بريطانيا، بيد ان اليهود رفضوا هذا الاقتراح ، بسبب كون السياسة العلية التي اتبعها الصهاينة في هذه الفترة، ملتزمة بـ ( قرارهم المبيح بتجنيد اثشاء اي تناقض بينهم وبين سلطة الانتداب البريطاني ، حيث كان هذا الانتداب تحت وقع ضربات الثوار العرب ، يضطر الى تجاهل بعض المطالب الحيوية للحرية الصهيونية ) ( ٢١٦) .

املا تدل هذه الحادثة على ان القول بـشكل مطلق بان الحركة الوطنية الفلسطينية هانت الانتداب وسامته وركزت هجومها على الهجرة فقط ، قول فيه من التجنسي اكثر مما فيه من الموضوعية ، وفيه من تشويه لنضال شعبنا الفلسطيني وخدمة للعدو ، اكثر مما فيه من افادة كمالنا وخدمته ؟

بيد ان السيد حواتمه بحاجة لمن يذكره بان قانون الطوارئ البريطاني وحده ، كان يكفي لان يدفع الناس للثورة ضد الانتداب . (ويورد السفري مجموعة احكام صدرت ائذ لتلليل على عسف هذا القانون : « ست سنوات حسب لحيازه مدس - ١٢ سنة لحيازه تنقله - خمس سنوات مع الاستئصال الشاقه لحيازه ١٢ رصاصه - ٨ اشهر سببه تضليل فريق من الجند عن الطريق - تسع سنوات سببه حيازة بقرعات - ٥ سنوات لحيازة خذرة من الحود - اسبوعان لحيازه عصا » ) ( ٢١٧) .

وعملا عن ذلك ، فان سلطة الانتداب البريطاني اتعت سياسة سنف البيوت على نطاق واسع ، مبالغة الى عملية سنف وهم جزء من مدينة ياما « ١٨ حزيران ١٩٢٦ »

## ما هو دور العناصر الرجعية في حركة النضال الفلسطيني الثوري ؟؟

ان من يسمع كلام السيد ابو عدنان يدرك ان الرجل لم يلبس بعد نظرات حواميرتغرم وجوده في الجبهة الديمقراطية ولهدا السبب فانه عمر عن الحقيقة ، حين قال بان شعبنا الفلسطيني امضى خمسين سنة وهو يناضل ضد الاستعمار والصهيونية . فالرجل حاكم الحقه نظر الجماهير الثاقلة بان الاستعمار في فلسطين كان له وجهان : الاول يمثل بريطاني والاخر صهيوني .. الاول يمثل في سياسة الانتداب والثاني يجسد في سياسة الاعصاب ، وهي وجهه نظر مؤبده وتواتع كفاحها الثوري وشهداتها الذين لبع عددهم خلال اربع سنوات مقسط - حوالي ٥٠٣٢ شهيد و ١٤٠٧٦٠ جريح - اما الذين عرفوا للاعتقال بسبب مشاركتهم في النضال ، فقد بلغ عددهم حوالي ٨١٦ معتقلا في عام ١٩٢٧ وحوالي ٢٤٦٣ معتقلا في عام ١٩٢٨ - وحوالي ١٧٩٦ معتقلا في عام ١٩٢٩ . ولهذه الاسباب ايضا ان التكتيز ويخدم بقف مبتذلة مع موقف ابته العام ، الذي طمس المضمون التقديمي لنضال الشعب الفلسطيني لكي يتسجم مع نفسه ومع عرصة . والذي يحاكم النضال الفلسطيني من وجهة نظر معرصة فهذا اظهره على غير حقيقته ولذلك فهو يمسر الحركة الوطنية الفلسطينية بمذلة العناصر الرجعية التي كانت تشكل عشا على النضال وعقبة في طريق استمراره حتى يبلغ نهايته الخسيسة ؛ فمن العلوم والمسلم به من قتل جبيع الباحثين التقدميين ان دور العناصر الرجعية في الحركة الوطنية الفلسطينية كان دورا مبعثا للذل الثوري ومعتقلا لا تطلقاته ومكرسا لاحيائه متى بلغ حد الافلات من سيطرتها . والنضال الثوري يهدد وجود هذه العناصر ، كلما بلغ درجة يهدد مصالح الامبرياليين المتكيز ، ولعمل ابرز مثل من الامثلة العديدة على ذلك ، هو دورها السذي لعننه بالواطؤ مع المندوب السامي البريطاني في اجهاض ثورة ٢٦ ، اذ لم المؤكد ان مصلحة الامبراطورية البريطانية تالات مع مصالح الرجعية العربية عند الرغبة في اجهاض الثورة باعتنارها حركة دينامية لا يمكن ان تقف عند حد او تقتصر نشاطها على اقليم واحد ( ٢٢١) . ومع ذلك فان العناصر الرجعية استطاعت ان تراقق النضال الوطني وتشعل مركزا فيه ، وبطبيعة الحال فان لهذا الامر اسبابه ، التي يصددها كون الدين كان عنصرا من عناصر الصراع العربي - الصهيوني . وقد كان دخول الاسلام

( عنصرا في الحركة القومية العربية امتاز بالسلية في اكثر الاحيان خصوصا ارا. المد الثوري في الحركة القومية العربية العالمة ) ( ٢٢٢) . بيد ان اصطلاح النضال الفلسطيني بالصيغة الدينية الاسلامية كان يمكن ان يلاشى او على الاقل ما كان يمكن ان يقوى لسولا اعتماد الصهاينة على الدين اليهودي لئلا ابدولوجيا ومبارستها القومية حتى ان الاصطدام الخطير العربي من ناحية - واليهودي - والبريطاني من ناحية ثانية الذي وقع في عام ١٩٢٩ اندلع بشرارة مطابرت من خلاف بشأن حائط المكي الذي كان المسلمون يعتبرونه جزءا من باحة مسجد الصخرة ويعتبره اليهود الاثر المائي من هيكل الملك سليمان ونمعا لذلك بتدسونه ( ٢٢٣) . وهكذا ظهرت الحركة القومية العربية البريطانية ، على الرغم من ان كل نصادم كان يؤدي الى نصادم مع قوات الانتداب البريطاني . وفي هذا الصدد لاحظ محمد عزبة دروزة الطاهرة العربية في فلسطين فكتبت: في كل السلاذ تقاس الوطنية بموقف القومي من الامبريالية ، اما في فلسطين فاصبح يستعاع ان يكون لمن يقصد اواصر الصداقة مع التكتيز ويخدم اغراضهم ويروح مطالبهم ان يكون له شأن في الحركة القومية العربية اذا كان مناونا لليهود والحركة الصهيونية . واصفان ان ذلك يعود الى نجاح التكتيز في التظاهر نفاقا بالحجب على المطالب القومي العربية مع ان هدفهم كان استغلال كل من اليهود والعرب ونخونهم كل منهم للاخر ( ٢٢٤) . ومع ذلك فان لجنة بيل قد لاحظت انه حتى عام ١٩٢٩ ( ... ) لم يكن للمعتصر الديني القومي المير سوى اثر ضئيل في نمو البعث العربي ضد الوطن القوي اليهودي . فالقومية في فلسطين وفي اي مكان اخر من العالم الاسلامي كانت ذات طابع سياسي اكثر منه ديني . ولكن ، اذا ارتفع النداء الديني وعسم الاعتقاد بان قدوم اليهود الى البلاد لا يعني فقط سيطرتهم الاقتصادية والسياسية على البلاد بل يعني كذلك اعادة نشاء اليهودية القديمة نشاء كاملا وغزو الاماكن المقدسة ودينيستها واعادة بناء الهيكل على انقاضها ، فليس من شك بان البعث العربي يصبح عندئذ اكثر اجماعا واشد تعصبا وناسا مما كان في اي وقت مضى ( ٢٢٥) .

واذا ما تذكرنا بان السنوات التي نلت الفترة المقتودة بكلام لجنة بيل ، كانت فترة ثورة مستمرة ضد الانتداب فاننا نستطيع ان نقول بان توقع اللجنة

( ٢٢١) . نوما المرجع السابق دانه من ٢٤١ . ( ٢٢٢) كفتاني المصدر دانه من ٢٩ . ( ٢٢٣) كفتاني المصدر دانه من ٣٥ . ( ٢٢٤) نوما المرجع السابق نفسه من ١٥٢ . ( ٢٢٥) الكفاي المرجع السابق نفسه من ١٠١ .

كان في محله ، بيد ان البعث العربي بقدر ما اصبح اشد ناسا ضد الصهاينة فانه كان مقدر اكثر واعنف ضد الانتداب البريطاني . هذا الامر واضح من مسلسل النورات الموالية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية . حيث اصبح البعث العربي ذو شأن مؤثر في توجيه الاحداث مسندا الى تايد الجماهير العربية الواسعة التي ساحت على قنائه عدم التعريق بين سياسة الانتداب البريطانية وسياسة الاعصاب الصهيونية ، متكاهما لتقيا عند وعد بلفور القاصي بشرى سكان فلسطين الاصليين واحلال المهاجرين اليهود منهم شريدا ابداء بشراء الاراضي العربية ونهجر الفلاحين العرب عنها وانتهى باتقامة اسرائيل . ولعل اضطرار العناصر الرجعية المعروفة بعلاقتها ببريطانيا ، وعلاقتها بالاستعمار .. تقول لعل ذلك دليلا على قوة الجماهير وتساعد دور البعث التقدمي المعر عن حركتها . ملولا الخشية من الجماهير ومن العزلة عنها ، ما كان يمكن ان يبقى العناصر الاسلامية الرجعية مشمل المراكز القيادية التي كانت تشغلها رغم انها كانت تميل الى التهادن مع الاستعمار وحتى مع الصهيونية ايضا ، ولكن خوفا من الجماهير كان يمنعها من الجنوح نحو مبلها .

ان استعراض وقائع تاريخ النضال الفلسطيني يوضح ان التعصب الديني الذي نميز به العناصر الرجعية في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، رغم انه كان يطبع نشاط هذه العناصر بصورة عامة - بيد ان هذه العناصر نفسها لم يرضى المعاشي مع البعث بديل قولها لمقترحات جون فيلي الذي وصل الى فلسطين في تشرين الاول عام ١٩٢٩ ( بعد ان اجتمع مع بعض قادة الحركة القومية العربية في سورية بجعل مشروعنا لسوية التقضية الفلسطينية عرضة على القوميين العرب في فلسطين وباحتهم بشأنه - ويوصل معهم السي اتفاق يمكن تلخيصه على الوجه الاتي :

- تدار فلسطين على اساس جمهوري دسنوري ديمقراطي .
- الهجرة حرة وخصوصا للعرب واليهود مع اعتبار مصالح البلاد وطاقتها ( ومع ذلك فان السيد حواتمه يصر على ان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية قد رفضت اقامة دولة ديمقراطية فلسطينية واشترطت عدم قبول اليهود الذين وغدا فلسطين بعد عام ١٩١٧ )
- تكون السلطة التشريعية بكاملها في مجلس ينتخبه المسلمون والمسيحيون واليهود .
- تكون السلطة التنفيذية في مجلس وزراء فلسطينيين يتالف من عرب ويهود بموجب نسبتهما ويجري التوظيف في المناصب العالية على اساس النسبية .
- يتحمل المندوب السامي البريطاني مسؤولية الامن حتى تغدو حكومة

بوجود فلسطينيين يتالف من عرب ويهود بموجب نسبتهما ويجري التوظيف في المناصب العالية على اساس النسبية . يتحمل المندوب السامي البريطاني مسؤولية الامن حتى تغدو حكومة

فلسطين قادره على القيام بهذا العيب. حسب رأي عسمة الام .

• يحق للمندوب السامي نقض « فبو » اي قانون يتعارض مع الزايات البريطانية الدولية او يحجب حقوق الاقليات او الاجانب او يتناقض مع مصالح البلاد (١) وعندئذ يحق للحكومة ان ترفع الامر الى عسمة الامم ( ٢٢٦) . ورغم هذه الموافقة على اقامة نظام دسنوري ديمقراطي يشارك فيه المسلمون والمسيحيون واليهود بدون تفریق ورغم الموافقة على استمرار الهجرة ، فان هذا المشروع لم يجد طريقه للتطبيق بسبب معارضة مع المصالح البريطانية والحركة الصهيونية ( وبهذا الشكل اصطلح الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني اصطلاحا يشارا مستمرا مع اجاني الشعب العربي في فلسطين في الحر والاسقلال . ولم يكن من الممكن حتى الخطو خطوات اولى في هذا السبيل واقامة حكومه محليه كما كان الحال في الاقطار العربية المحصورة امدادا من العراق حتى مصر ) ( ٢٢٧) . وكان المشروع يسلطم كذك بمعالية الصهيونية و بايديولوجيتها حول تعريف الشعب اليهودي بوصفه « شعبا عالميا » . فالصهيونيين كانوا يعتبرون فلسطين وطننا « قومايا » للشعب اليهودي بلسره ولذلك اتابوا الوكالة اليهودية على هذا الاعتبار . ولم يكن من الممكن ان يفتلوا تمثيلا يقوم على اساس القائم في فلسطين بل على ( اساسها سيكون ) ( ٢٢٨) .

وفي نيسان ١٩٢٥ . تقدمت اللجنة التنفيذية العربية ، بمذكرة الى وزير المستعمرات البريطانية ، ج. ابيري ، جاء فيها :

( ان العرب وهم في فلسطين يطالبون حقهم في الحكم التشريعي لم يردوا قسط ان يفتلوا حقوق اليهود الذين يساكنونهم ولكتهم يريدون ان يتمتعوا بحقهم باعتبار انهم اكثرية ساحقة في العدد والمصلحة و باعتبار انهم وعدوا بعود صريحة وباعتبار ان عهد جامعة الامم يخولهم ذلك مع حفظ حق اليهود الوطنيين في الاشتراك في الادارة والتشريع بحسب نسبتهما ) ( ٢٢٩) .

ظهور التيار التقدمي بحسب المضمون التقدمي لنضال الشعب الفلسطيني

وفضلا عن كل ما تقدم فان اذ ينكر وجود التيار الرجعي في الاوساط القيادية المترجمة على قسه الحركة الوطنية الفلسطينية وان هذا التيار كان يطبع النضال احيانا بطابع ديني ، ولكن ما تجب ملاحظته ايضا ، هو ان وزراء فلسطينيين يتالف من عرب ويهود بموجب نسبتهما ويجري التوظيف في المناصب العالية على اساس النسبية . يتحمل المندوب السامي البريطاني مسؤولية الامن حتى تغدو حكومة

ظهور التيار التقدمي بحسب المضمون التقدمي لنضال الشعب الفلسطيني

وفضلا عن كل ما تقدم فان اذ ينكر وجود التيار الرجعي في الاوساط القيادية المترجمة على قسه الحركة الوطنية الفلسطينية وان هذا التيار كان يطبع النضال احيانا بطابع ديني ، ولكن ما تجب ملاحظته ايضا ، هو ان وزراء فلسطينيين يتالف من عرب ويهود بموجب نسبتهما ويجري التوظيف في المناصب العالية على اساس النسبية . يتحمل المندوب السامي البريطاني مسؤولية الامن حتى تغدو حكومة

هذا السار لم يعد هو القائد الفعلي للحركة منذ عام ١٩٢١ ، اذ بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية التي تعتبر نفسها جزءا من الحركة القومية العربية بمسئ الاقليات او الاجانب او يتناقض مع مصالح البلاد (١) وعندئذ يحق للحكومة ان ترفع الامر الى عسمة الامم ( ٢٢٦) . ورغم هذه الموافقة على اقامة نظام دسنوري ديمقراطي يشارك فيه المسلمون والمسيحيون واليهود بدون تفریق ورغم الموافقة على استمرار الهجرة ، فان هذا المشروع لم يجد طريقه للتطبيق بسبب معارضة مع المصالح البريطانية والحركة الصهيونية ( وبهذا الشكل اصطلح الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني اصطلاحا يشارا مستمرا مع اجاني الشعب العربي في فلسطين في الحر والاسقلال . ولم يكن من الممكن حتى الخطو خطوات اولى في هذا السبيل واقامة حكومه محليه كما كان الحال في الاقطار العربية المحصورة امدادا من العراق حتى مصر ) ( ٢٢٧) . وكان المشروع يسلطم كذك بمعالية الصهيونية و بايديولوجيتها حول تعريف الشعب اليهودي بوصفه « شعبا عالميا » . فالصهيونيين كانوا يعتبرون فلسطين وطننا « قومايا » للشعب اليهودي بلسره ولذلك اتابوا الوكالة اليهودية على هذا الاعتبار . ولم يكن من الممكن ان يفتلوا تمثيلا يقوم على اساس القائم في فلسطين بل على ( اساسها سيكون ) ( ٢٢٨) .

ويستطرد الدكتور توما محددوا العوامل الموضوعية التي ادت الى بروز التيار التقدمي غير الاسلامي . في نحو البرجوازية العربية الفلسطينية وان كان هذا التبو طبيا . اولا في استمرار عملية اجلاء الفلاحين العرب عن الاراضي التي باعها الاقطاعيون للهيئات الصهيونية الامر الذي دفع هؤلاء الفلاحين لان يخوضوا في عملية الصراع الحاربخوضا انمكس واضحا في النضال الوطني ضد الانتداب والاعصاب ، ثانيا وفي نحو تنظيمات الطبقة العاملة العربية المهنية التي اتسمت منذ نشونها بطابع العداء للامبريالية ثالثا .

( ومن البديهي ان هذه العوامل الموضوعية حركت قوى وطنية اولا ، وساعدتها على الرؤية الصحيحة ثانيا: مندات تنظم ثالثا ، وبذلك غيرت وجهة الحركة القومية العربية وازعفت الطابع الديني الذي حاولت بعض القوى اضفاءه على مجموع الحركة القومية العربية ) ( ٢٣١) .

واذا كان توما يحدد عام ١٩٢١ ، لرؤية التيار الجديد ، فان دائرة الاستخبارات البريطانية اشارت الى ملاحح هذا التيار منذ عام ١٩٢١ ، حين تحدثت بتقريرها السياسي المؤرخ في ٣١ تشرين ثاني ( عن ظهور اتجاه لدى الشعب للعمل ببنائي عن الوجهاء واغفال نصابهم ) ( ٢٣٢) .

( ٢٣٠) المرجع السابق من ١٨٨ . ( ٢٣١) توما ، المرجع السابق من ١٩١ . ( ٢٣٢) المرجع السابق من ١٥٢ . ( ٢٣٣) الكفاي ، المرجع السابق من ٧٧ . ( ٢٣٤) توما ، المرجع السابق من ١٥٨ .

البقيّة في العدد القادم

صدر حديثا  
 في سلسلة ديوان  
 الشعر العربي الحديث  
 فصول الهجرة الاربعة  
 شعر محمد صبيح القاضي  
 الغناء في  
 اقبية عميقة  
 شعر محمد الاعد  
 ديوان الرصاص في  
 ( الجزء الثاني )  
 شعر وتعليق وخطفي علي  
 صدر حديثا  
 في سلسلة  
 كتب التراث  
 الرسائل المتبادلة  
 بين الكرملين وتيمور  
 تحقيق  
 كوكيس عواد ،  
 ميخائيل عواد ،  
 جليلك العطيح  
 صدر حديثا  
 في لسلة الكتب المترجمة  
 شعرا من امريكا الجنوبية  
 ترجمة سعد صابني  
 يصدر قريبا  
 في لسلة القصة والمسرحية  
 العجوز / تأليف افان القاتم  
 من مطبوعات وزارة الاعلام  
 المرافقة